



جمهورية مصر العربية
جامعة الزقازيق
المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم

مجلة حضارات الشرق الأدنى القديم

دورية علمية محكمة

<http://www.east.zu.edu.eg>

الزقازيق

العدد الثانى - السنة الثانية - أكتوبر ٢٠١٦ م - الجزء الثالث

رقم الإيداع: ١٨٤٣٥ - الترقيم الدولى (٥٣٣٥ - ٢٠٩٠)

مطابع جامعة الزقازيق

عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمى الدولى

حضارات الشرق الأدنى القديم ومؤثراتها عبر العصور

الذى أقيم خلال الفترة من ١٣-١٥ مارس ٢٠١٦

بالمعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم-جامعة الزقازيق

بالتعاون مع كلية التربية الأساسية جامعة بابل

ملاحم الفن والحضارة لدى الإنسان العراقي في العصر الحجري الحديث

د. نزار علوان عبد الله
كلية التربية، الجامعة المستنصرية

ملامح الفن والحضارة لدى الإنسان العراقي في العصر الحجري الحديث

د. نزار علوان عبد الله

كلية التربية، الجامعة المستنصرية

توطئة:

حين التحدث عن العصر الحجري الحديث الذي يمثل الحقبة الزمنية الممتدة ما بين الألف التاسع حتى ٥٦٠٠ ق.م. لابد لنا من الوقوف على الأزمنة السحيقة التي سبقت عصور اهتداء الأمم القديمة الى الكتابة والى تكوين القوميات الكبيرة، والوحدات السياسية المنتصرة، وهو ما أصطلح على تسميتها بعصور (مقابل التاريخ) وهو تعبير يرادفه الى حد ما تعبير حضاري اصطلاحي آخر يقل عنه امتداداً في الزمن، وهو (الدهور الحجرية) ونقصد بها الدهور التي بدأت معها حضارة الإنسان الذي استطاع أن يصنع فيها شيئاً بيده عن قصد وهدف، اعتماداً وأساساً على الأدوات الحجرية البدائية، بكل ما يتناسب مع مطالبه المحدودة، ويستخدم الى جانبها أدوات أخرى مصنوعة من فروع الشجر، ومن عظام الحيوانات المختلفة^(١).

أما تسميتها بالعصور الحجرية، فأن ذلك يشير الى الجانب التكنولوجي منها، لأن الإنسان أقتصر فيها على صنع أدواته وآلاته الساذجة من الحجارة، واستخدم في ذلك أيضاً العظام والخشب^(٢).

وفي بداية تلك العصور الموعلة في القدم تمت الأعجوبة في تطور الحياة البشرية على الكرة الأرضية بتطور مراتب الحيوانات العليا الى ظهور الإنسان الناطق الصانع للآلة واللغة، وهما السمتان اللتان ميزتا النوع الإنساني عن أنواع المملكة الحيوانية^(٣).

(١) عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ٢٠١٢، ج ١، ص ٢٩.

(٢) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بيروت، شركة دار الوراق للنشر، ٢٠١٢، ج ١، ص ١٨٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٨٤-١٨٥.

قادت هذه التطورات الى ازدهار الحياة في بلاد ما بين النهرين بفضل جهود الإنسان المتواصلة في شق الألفية وتوزيع مياه الري، وتجفيف المستنقعات واستثمار الأراضي الخصبة الواقعة على ضفاف دجلة والفرات^(١).

أن الإنسان العراقي في العصر الحجري القديم اعتمد في عيشه على جمع قوته ولم يتجه بعد الى الزراعة وتدجين الحيوانات، بل كان يعول في حياته اليومية على الصيد وجمع مصادر القوت الأخرى، ولذلك أصبحت تسمية (جمع القوت) أو التقاطه من المسميات الأساسية لهذا العصر^(٢). لكن أهم ما كان يميزه هي الأدوات المصنوعة من حجر الصوان، والتي تتألف من فؤوس يدوية تشبه شكل القلب أو اللوزة، كما وجدت أدوات حصوية مصنوعة من حجر الكلس تستخدم للكشط^(٣).

وقبل الدخول في مضامين العصر الحجري الحديث لابد من الإشارة الى أهمية العصر الحجري الوسيط وهو العصر الفاصل ما بين العصرين القديم والحديث^(٤)، ويعد عصرًا انتقاليًا من صيد الحيوانات والتقاط الأثمار الى مرحلة الزراعة والرعي، ويتعبّر ثاب من مرحلة جمع القوت الى مرحلة إنتاج القوت، وقد تميز هذا العصر بدقة الآلات والأدوات الحجرية التي صنعها الإنسان، وصغر حجمها وتعدّد أشكالها ومنها المناجل والمدقات والهاونات ورحي الطحن، ومن المحتمل أن هذه الآلات استخدمت في حصد حبوب النباتات البرية وطحنه^(٥).

فالمتأخرين من أهل العصر الحجري المتوسط، في العراق هم الذين مهدوا لحدوث الانقلاب الاقتصادي في العصر الحجري الحديث الذي نجم في الأساس من الاستزراع وتدجين الحيوانات^(٦).

(١) محمود أمهر، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، (د.م)، (د.مط)، ٢٠١٠، ص ١٩.

(٢) طه باقر، المصدر السابق، ص ١٨٧.

(٣) جورج رو، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان حسين، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٤، ص ٧١.

(٤) أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر، العراق، ايران، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٩، ص ٢٢٣.

(٥) عبد القادر عبد الجبار الشيعلي، الوجيز في تاريخ العراق القديم، بيروت، دار الرافدين، ط ٢، ٢٠١٤، ص ٧٢.

(٦) تقي الدباغ، الثورة الزراعية والقرى الأولى، في: نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، بغداد، (د.مط)، ١٩٨٥، ج ١، ص ١١٤.

إذ تبدلت حياة الإنسان العراقي بعد أن أصبحت الزراعة حرفة له، وأدى ذلك الى الاستقرار وظهور المجتمع القروي، الأمر الذي قاد الى نشأة نوع جديد من تفكير الإنسان وسلوكه في مختلف مظاهر حياته، وذلك على أساس المبادئ والأسس التي يقوم عليها المجتمع في ذلك العصر.^(١)

أن الانقلاب الزراعي في هذا العصر، لم يكن حدثاً فجائياً بل حصل بخطوات تدريجية ومراحل متعددة من التطور كانت القرية فيه صغيرة وبدائية ثم تأسست قرى بالنتابع أكثر تنظيماً وتقدماً في المراحل التالية حتى ظهور بواذر المدن في فجر العصور التاريخية.^(٢)

استغل الإنسان في هذه المرحلة الإمكانيات المتاحة في بيئته من أجل صناعة أدواته وتشديد منازل له التي بنيت أول الأمر من الطين المتوفر في أراضيها الزراعية، وصنع منه كذلك الأواني الفخارية التي استخدمها في مختلف شؤون المنزلية.^(٣)

وهكذا فإن هذا العصر يعد من العصور الغنية بنتائج الإنسان، فقد شهد وضع الأسس الأولى لجوانب الفنون التشكيلية بالعراق في العمارة والنحت والفخار.

فن العمارة:

لقد كان لممارسة الإنسان الزراعة تأثير كبير في جعله يميل الى الاستقرار وترك حياة التنقل، فشيء له بيوتاً بسيطة يأوي إليها عند الحاجة أصبحت بعد ذلك نواة لقرى زراعية واسعة نوعاً ما^(٤).

وفي العراق بدأت ملامح الانجاز المعماري في العصر الحجري المتوسط، فقد رصدت العديد من مواقع السكن المؤقتة، على الرغم من كونها بدائية إلا أنها أمدتنا بتصورات محدودة

(١) أحمد أمين سليم، العصور الحجرية وما قبل الاسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، (م.د)، دار المعرفة الجامعية، (د.ت)، ص ١٣١.

(٢) كريم عزيز حسن الدليمي، الزراعة في العراق القديم منذ فجر السلالات حتى نهاية العصر البابلي القديم ٣٠٠٠-١٥٩٥ ق.م، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٦، ص ١٤.

(٣) رشيد الناظوري، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا، (د.مط)، ١٩٧٧، ص ١١٩.

(٤) عادل عبد الله الشيخ، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥، ص ٤٢.

نستطيع من خلالها أن نلتمس تقدماً ملحوظاً من لدن الإنسان لتطوير الظروف الطبيعية المحيطة به.^(١)

لكن مع بداية العصر الحجري الحديث أخذت تلك الملامح تتضح أكثر فأكثر، وذلك بتأثير الاستقرار وتراكم الخبرة والحاجة للتنوع الوظيفي للمباني المختلفة.^(٢)

إذ استخدم الطوف في بناء تلك المساكن، وهو بالأساس يتكون من الطين الممزوج بمادة التبن حتى يكون أكثر تماسكاً، أما البناء فكان في بداياته عشوائياً، إذ يتكون من ساحة مركزية صغيرة تتوزع على جوانبها بشكل فوضوي مساحات ضيقة تؤلف عدداً من الغرف المسقفة بجذوع أغصان الشجر.^(٣)

وفي مراحل متقدمة من ذلك العصر التاريخي، أعتمد الإنسان في البناء على اللبن المتكون من قطع الطوف بواسطة قوالب كانت تجفف بالشمس، كي تتصلب، حتى أصبحت الجدران تبنى بصفوف أفقية منتظمة من اللبن واستخدام الطين كمادة رابطة^(٤)، وكانت الجدران تكسى بطبقة من ملاط طيني ناعم وبلطت أرضيات الدور فوق القصب^(٥)، كما استعمل القصب وأغصان الشجر لتسقيف البيوت.^(٦)

ويعد مستوطن جرمو القروي من الألف السابع ق.م إنموذجاً للاستقرار السكاني حيث تتابع السكن فيه بشكل متسلسل، فضلاً عن ظهور أسلوب بناء الوحدات السكنية فيه منذ أقدم فترات

(١) عادل عبد الله الشيخ، عمارة العراق في العصرين الحجري الحديث والحجري المعدني حتى نهاية طور العبيد، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٥، ص ٢٨.

(٢) موفق جرجيس سليمان، عمارة البيت العراقي القديم في عصور مقابل التاريخ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٦، ص ٢١.

(٣) زهير صاحب، سلمان الخطاط، تاريخ الفن القديم في بلاد الرافدين، بغداد، مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٧، ص ٤٣.

(٤) زهير صاحب، سلمان الخطاط، تاريخ الفن القديم في بلاد الرافدين، ص ٤٣.

(٥) تقي الدباغ، الوطن العربي في العصور الحجرية، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨، ص ١١٦.

(٦) محمد ابو محاسن عصفور، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، بيروت، دار النهضة للطباعة والنشر، ١٩٨٧، ص ٢٠٢.

الاستقرار في المنطقة^(١)، ويقع هذا المستوطن على بعد ١١ كم شرقي بلدة جمجمان في محافظة كركوك الحالية وعلى ارتفاع ٧٥٠ م فوق مستوى سطح البحر.^(٢)

ويضم المستوطن مساحة تقدر بنحو ثلاثة عشر ألف متر مربع، ويصل مجموع السكان فيه حوالي مائة وخمسين نسمة، وتم كشف خمس وعشرين دار سكنية.^(٣)

وقد شيدت المنازل من كتل الطين المكبوس، وأحياناً يلاحظ أنه كان لبعضها أساس من الحجر، وصممت على هيئة مستطيلة^(٤)، وكانت تتكون من عدد من الحجرات التي اتخذت الشكل المستطيل أيضاً، وأوسع غرفة عثر عليها في القرية بلغت أبعادها ٢,٢ × ٥,٦ م، كما احتوت البيوت على العديد من الغرف الصغيرة متوسط أبعادها ٢ × ١,٥ م ويعتقد أنها استخدمت كمخازن من قبل سكان القرية، كما احتوت البيوت على التنانير الخاصة بعمل الخبز، وقسم منها وجد خارج المنازل، ولكن بمسافة مجاورة، واحتوت البيوت والغرف على مداخل كانت تشيد بصورة عامة في نهايات الجدران، ويعتقد بأن عملية تسقيف المباني اتخذت الشكل الجملوني، وتمت بوساطة القصب وأغصان الأشجار المكسية بطبقة سميكة من الطين.^(٥)

ويعد مستوطن السكن في تل حسونة الواقع على بعد ٨ كم الى الشرق من مركز ناحية الشورة جنوب الموصل، أنموذجاً متطوراً لأسلوب وطبيعة الاستقرار للمجتمع الزراعي في الالف السادس ق. م.^(٦) فقد وجد فيه تسلسل آخر لأسلوب السكن ابتداء من مراحل السكن في المخيمات الدائرية الى مخططات البيوت المنتظمة.^(٧)

(١) وليد الجادر، العمارة حتى فجر السلالات، في: نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، بغداد، (د. مط)، ١٩٨٥، ج ٣، ص ٧٩.

(٢) عادل عبد الله الشيخ، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، ص ٧٢.

(٣) وليد الجادر، المصدر السابق، ج ٣، ص ٧٩.

(٤) أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر، العراق، ايران، ص ٢٢٦.

(٥) عادل عبد الله الشيخ، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، ص ٧٢.

(٦) تقي الدباغ، الوطن العربي في العصر الحجري، ص ١١٦.

(٧) وليد الجادر، المصدر السابق، ص ٨٠.

بينت أعمال التنقيب أن سكان الموقع المذكور في الطبقة السفلى قد سكنوا نوعاً من الخيام والأكواخ البدائية وذلك لعدم العثور على مخلفات بناءية في تلك الطبقة، ولكن ظهرت المباني فيما بعد في الطبقات التالية وكانت قائمة على التخطيط المستطيل، وشيدت المباني من الطوف وتراوح سمك الجدران بين ٢٠-٤٥ سم، والبيت يتألف من عدة غرف صغيرة ذات وظائف مختلفة، وعملت أرضيات المباني من التربة المرصوفة وملطت بطبقة خفيفة من الطين، كما زودت البيوت والغرف بمدخل، وأحتوت على دعائم داخلية وخارجية الغرض منها تقوية البناء، فيما اعتمد السقف الجملوني على أغصان الأشجار أو القصب المغطى بطبقة سميكة من الطين.^(١)

وأكتشفت أيضاً مستوطنات عدة تشبه قرية حسونة، وتعود لنفس المدة الزمنية تقريباً، وذلك في موقع مطارة وتل قره يطغ الواقع جنوبي كركوك، وشاغر بازار الواقع في حوض الخابور ومستوطن الخان في وادي الزاب الأعلى، وفي يارم تبه القريب من تلغفر، ووجدت بيوت السكن في الموقع الأخير تقع حول أزقة ضيقة.^(٢)

وفي تل الاريجية الذي يقع الى الشرق قليلاً من مدينة نينوى التاريخية^(٣) وجد نوع آخر من الأبنية التي تكون عادة مدورة، والتي تعود الى ثقافة حلف^(٤) نسبة الى تل حلف وهو مرتفع واسع يطل على نهر الخابور قرب قرية رأس العين على الحدود التركية والسورية.^(٥)

وتتميز هذه الابنية بكونها مقببة، ذات هياكل تشبه خلية مبنية من اللبن، تستقر على أسس دائرية من الحجارة يتراوح قطرها بين ثلاثة عشر واثنتين وثلاثين قدماً، وتلحق بقسم منها غرف استقبال مستطيلة وطويلة مبنية من نفس المواد.^(٦)

(١) Lloyd , S. and Safar.F., Tell Hassuna , Excavations by the Iraq Government Directorate General of Antiquities in 1943 and 1944 ,J. N.E.S, Vol.4 ,No.4, 1945,P.271-272.

(٢) وليد الجادر، المصدر السابق، ص ٨٢.

(٣) محمد صبري، عمارة البيوت الدائرية في مطلع العصر الحجري الحديث في الشرق الأدنى، بغداد شركة دار المعمورة للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)، ص ١١٢.

(٤) أكرم محمد عبد كسار، عصر حلف في العراق، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٢، ص ٦٦.

(٥) محمود امهز، المصدر السابق، ص ٥٢.

(٦) جورج رو، المصدر السابق، ص ٩٣.

وعرفت أيضاً مشابهاً لتلك الدور في موقع أم الدباغية الذي يبعد مسافة ٢٠ كم الى الشرق من مدينة الحضر الأثرية في الموصل^(١) والتي كانت لها مردودات ايجابية حيث أنها الفت تجمعاً متكاملًا لأماكن السكن والخزن الزراعي والتجاري، فضلاً عن احتوائها على مرافق ضرورية كالحضائر مثلاً.^(٢)

ومن مظاهر التطور المعماري في هذا العصر استخدام اللبن المقطوع في قوالب بسمك أكبر وبشكل منتظم، بفعل عملية تطويرية جديدة قائمة على اختيار المواد الرئيسة في البناء، وطبيعة خلطها وحجمها وأساليب ترتيبها، والمعروف أن اللبن المقولب، الذي اخترع قبل اللبن المنتظم القياسات^(٣) قد استخدم في موقع تل الصوان في محافظة صلاح الدين على الضفة الشرقية لنهر دجلة بمسافة ١١ كم جنوب مدينة سامراء.^(٤)

والموقع الاخير زاخر بالمخلفات البنائية، إذ شيدت المباني وفق التخطيط المستطيل، وأحتوت جدرانها الخارجية على طلعات بنائية في أماكن التقائها بالجدران الداخلية وهي السمة المتميزة لعمارة الموقع، وأستخدم في بناء الجدران اللبن الكبير الحجم، وقد بلغ سمك بعض الجدران حوالي ٣٠ سم، كما احتوت بيوت السكن على غرف صغيرة استخدمت كمخازن، وأمتازت البيوت بوجه عام بصغر حجمه.^(٥)

فن الفخار:

ظل الإنسان العراقي معظم عصور ما قبل التاريخ التي بلغت زهاء المليون عام يصنع أوانيّه من غير مادة الطين المفخور لحفظ حاجاته المتنوعة فشاع استخدام الأواني الحجرية والخشبية والسلال والأكياس الجلدية، ثم ابتكر القرويون صناعة الفخار^(٦) في ظل حياتهم الزراعية

(١) Kirkbride , B. Umm Dabaghiyah ,1971, A preliminary Report, Iraq , Vol.34,No.1, 1972, P.

(٢) وليد الجادر، المصدر السابق، ص ٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٣.

(٤) محمد صبري، المصدر السابق، ص ١١٥.

(٥) عادل عبد الله الشيخ، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، ص ٨٦-٨٧.

(٦) الفخار: هو كل جسم يصنع من الطين سواء اضيفت اليه مواد أخرى أم لم تضاف، فكل شكل فخاري يمر بمرحلة التشكيل، ثم التجفيف وأخيراً التقوية أو التصلب بالحرارة، وهذه العملية الأخيرة هي التي تحول الطين الى فخار، ينظر: دورام. بيلينكتون، فن الفخار صناعة وعلماً، ترجمة: عدنان خالد واحمد شوكت، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٤، ص ٧.

والرعوية الجديدة التي ظهرت في بدايات الألف السابع ق.م^(١) وكان ظهور الفخار ضرورة ملحة لخبز ما يزيد عن حاجة المزارعين من الحبوب لاستخدامها عند الحاجة. ثم تطورت وتنوعت استخدامات الفخار في الدفن والطقوس والشعائر الدينية والطبخ ونقل الماء وخبز السوائل المختلفة.^(٢)

مرت صناعة الفخار في العصر الحجري الحديث بمراحل متعددة، إذ بدأت بسيطة ذات أشكال ساذجة تتشكل بطرق بدائية ومن طينة غير نقية تحتوي على الشوائب الطبيعية، وأسلوب حرق الفخاريات كان رديئاً، فمعظمها هشّة وقليلة التنوع تقتصر على الجرار والطاسات. لكن تلك الصناعة تنامت مع الزمن وبالتحديد في أواسط وأواخر هذا العصر عندما دخلت مجال الحرف الفنية، إذ أصبحت الآنية تعمل من طينة مغسولة ومنقاة من الشوائب، وأسلوب حرقها أصبح جيداً باستخدام تتانير أو كوز خاصة، كما أن أشكالها تزايدت لتشمل الجرار والطاسات والصحن والكؤوس والقوارير والأكواب.^(٣)

ويبدو من نتائج الحفريات التي أجريت على ست عشرة طبقة أثرية أو دور سكني في قرية جرمو شمال العراق، أن أهلها استخدموا الأواني الحجرية وغير الحجرية قبل أن يتعلموا في النهاية الصناعات الفخارية، فالطبقات الإحدى عشرة السفلى وجدت خالية تماماً من الفخاريات واقتصرت ظهورها على الطبقات الخمس العليا فقط^(٤) لكنها كانت صناعة سمجة وجدرانها خشنة وسميكة، أغلبها خالية من الزخارف والرسوم اشتملت بصورة رئيسية على الأواني والجرار الخاصة بالاستخدام المنزلي.^(٥)

ولعل من أبرز معالم حسونة الحضارية وجود أنواع مختلفة من الفخار الذي شوي على درجات متفاوتة من الحرارة^(٦)، وقد ميز مؤرخو الفخار مستويات عدة لفخار حسونة هي الآتي:-

(١) تقي الدباغ، الفخار في عصور ما قبل التاريخ، نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج٣، ص٧.

(٢) زهير صاحب، حميد نفل، تاريخ الفن في بلاد الرافدين، بغداد، دار الأصدقاء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٠، ص٤٣.

(٣) زهير صاحب، حميد نفل، تاريخ الفن في بلاد الرافدين، ص٤٣-٤٤.

(٤) طه باقر، المصدر السابق، ج١، ص٢١٨.

(٥) Braidwood, R.J. Howe, B. Prehistoric Investigations, In Iraq Kurdistan, Chicago, Press, Chicago, 1960, P.44.

(٦) محمود امهز، المصدر السابق، ص٥٠.

١- فخار حسونة الخشن أو السمج: وهو معمول من الطين المخلوط بالتبن وشاعت منه الأواني أو الجرار المستخدمة في الخزن، فضلاً عن مجاميع من الطاسات الصغيرة.

٢- فخاريات حسونة المدلوكة: وشملت مجموعة متنوعة من الأواني والجرار ذات السطح المدلوك والمزخرف بتشكيلات هندسية قوامها خطوط متموجة أو متعامدة أو متقاطعة.

٣- فخار حسونة القديم المصبوغ: وهو ذو صبغة حمراء سميكة لامعة على سطح وردي، قوام زخرفته خطوط بسيطة متقاطعة تشبه ما يعرف بحيাকে السلال أو الحصران.

٤- فخار حسونة النموذجي: ويشمل مجموعة متنوعة من الأواني والجرار ذات الزخارف الهندسية والنباتية.^(١)

وبشكل عام عملت فخاريات حسونة، باستعمال اليد من طينة غير نقية ومعظم أنيتها تتميز بسطوح خشنة، ومحروقة بتنانير بسيطة حرقة غير جيدة نظراً لكونها نتاجات بيتية لم تدخل بعد مجال الحرفة والتخصص.

وفي تلك الحقبة ظهر أيضاً فخار سامراء الذي يعاصر زمنياً أواخر فخار حسونة، واستمر بعد زوال الأخير، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى مدينة سامراء التي تقع على نهر دجلة وتبعد بحوالي ١٢٠ كم إلى الشمال من مدينة بغداد. وأول من نقب عنه وأكتشفه الاستاذ هيرسفلد (Herzfeld) عام ١٩١١ تحت تبايط الدور السكنية في هذا الموقع.^(٢)

ولهذا الفخار نوعان، فخار سامراء الملون وفخار سامراء المحرز والملون معاً، وفخاريات سامراء من هذا الموقع تظهر تشابهاً في صناعتها مع فخاريات سامراء من موقع تل الصوان.^(٣)

وفخار سامراء الذي عرف في النصف الثاني من الألف السادس هو أكثر تعقيداً في عناصره التزيينية من الفخار السابق في حسونة، ويعد من أجمل ما وصل إليه الخزف الشرقي القديم، ففي هذه الأواني الفخارية يحاول الخزاف أن يوفق بين الغاية والجمال الفني سواء في الشكل أو في التزيين، إذ زينت بعناصر جديدة، فضلاً عما عرف سابقاً من خطوط متوازية ومتقاطعة أو

(١) عادل عبد الله الشيخ، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، ص ٧٥

(٢) زهير صاحب محسن، فخار سامراء، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨١، ص ٢٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٦.

متكسرة وأشكال أخرى هندسة كالمربع والمستطيل والمثلث، هذه العناصر تجمع بين الرسوم التجريدية والأشكال الصورية الطبيعية المستمدة من الواقع، ولكن بأشكال منبسطة مختزلة كأن الغاية منها لم تكن تجسيد الشيء المرئي نفسه، بل الإشارة إليه، وهي تصور الواقع الذي يعيشه إنسان ذلك العصر، بإسلوب متحرر، يعبر عن الحياة والحركة التي نادراً ما تظهر في الفنون الشرقية القديمة.^(١)

أما فخار حلف، فقد عاصر أواخر عهد سامراء، واستمر بعد زوال صناعة فخار سامراء، وهو يمثل أجمل صناعة فخارية في العراق، فهو معمول من طينة نقية جداً مغسولة ومنقاة من الشوائب بشكل جيد، وتم تشكيله وفخر أنياته بعناية فائقة التي كانت تتميز بجوانب رقيقة جداً، ولها سطوح ناعمة الملمس، مدلوكة دلماً قوياً، ومطالية بطينة نقية طلاء ناعماً يميل إلى الأحمرار، وهو مختلف الأنواع، فهناك أشكال الطاسات والجرار والصحون والكؤوس والدوارق والأكواب والمزهريات، وأهم ما يميز مشاهدتها الزخرفية هو تنوع الألوان في المشهد الواحد بعد أن كانت ألوان المشاهد تقتصر على لون واحد في فخار حسونة وسامراء، ولعل تنوع الألوان هذا يرجع إلى المهارة العالية في التحكم بدرجات حرارة الحرق.^(٢)

وشهدت المرحلة الأخيرة من هذه الحضارة إنتاجاً كبيراً من الأواني الفخارية، التي تعد أجمل ما أنتجه الشرق الأدنى القديم في هذا المجال، ونظراً للتطور الكبير في صناعة الفخار من طراز حلف، قدر البعض أن هذه الأواني قد صنعت على أيدي فئات من الاختصاصيين المهرة، الذين يصورون برسوماتهم المشاهد الواقعية لحياتهم اليومية.^(٣)

فن النحت:

تركزت المعتقدات الدينية في العصر الحجري الحديث حول الخصوبة والتكاثر وكانت ديانته عبارة عن مفاهيم وتصورات أرتبطت بمظاهر الطبيعة المؤثرة في عمليات الإنتاج وبفكرة الخصوبة والحياة^(٤)، ووجدت دمي صغيرة في مواقع جرمو وحسونة^(١)، وفي تل الصوان^(٢)، تمثل

(١) محمود امهز، المصدر السابق، ص ٥٢.

(٢) زهير صاحب محسن، حميد نفل، تاريخ الفن في بلاد الرافدين، ص ٤٨.

(٣) محمود امهز، المصدر السابق، ص ٥٤.

(٤) عبد القادر عبد الجبار الشخيلي، المصدر السابق، ص ٧٣-٧٤.

أمرأة عارية بولغ بإظهار أنوثتها كرمز للخصوبة والتكاثر، عرفت في ما بعد بالالهة الأم، أي أن المعتقد الديني لإنسان هذا العصر قد استند الى عبادة القوى المولدة للطبيعة.^(٣)

صنعت هذه الدمى من طينة نقية أعتني كثيراً بتحضيرها، ثم أحرقت بالنار كي تتصلب، وتشير أوضاع هذه الدمى الى مهارة صانعها في تنويع أشكال تماثيلها الصغيرة^(٤)، فبعضها شكلت بوضع الجلوس كالتي عثر عليها في موقع جرمو، والبعض الآخر مثلت بوضع الوقوف كالتي عثر عليها في تل حسونة.^(٥)

ومهما تنوعت أوضاع هذه الدمى فإنها تتميز بتركيز اهتمام الفنان في بعض أجزاء الجسم وإهماله للبعض الآخر، دون أن يقدم صورة تكاملية لهيئة الإنسان، فاليدان نحتتا كجزء من كتلة الجسم، والساقان مثلتا ككتلة واحدة دون الفصل بينهما كما أشير الى أصابع الكفين والقدمين بشكل مختصر ومبسط وبأسلوب الحزوز، وعلى الرغم من ذلك كان هنالك حرص في بعض النماذج على توضيح معالم الوجه بالألوان، كتأشير الحاجبين وأهداب العينين وخصل الشعر المتدلية على جانبي الوجه، فضلاً عن أكاليل سوداء من مادة القير على الرؤوس ترمز الى الشعر، كما لونت أجسام تلك الدمى بخطوط تمثل زخارف الملابس.^(٦)

ولم يقتصر الأمر على مادة الطين في صنع تلك الدمى، بل أستخدم أيضاً الحجر الشمعي أو المرمر في صناعة قسم منها، لاسيما تلك التي عثر عليها في تل الصوان، وتمثل نوعاً من الطقوس الدينية أو الدفنية التي تتعلق بقبور الأطفال^(٧)، كما عثر في بعض طبقات جرمو على تماثيل صغيرة تمثل الكلاب والماعر والابقار.^(٨)

(١) أحمد أمين سليم، العصور الحجرية وما قبل الاسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، ص ١٤٠ و ١٥٤.

(٢) محمود امهز، المصدر السابق، ص ٤٩.

(٣) أحمد أمين سليم، العصور الحجرية وما قبل الاسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، ص ١٣٩-١٤٠.

(٤) زهير صاحب، سلمان الخطاط تاريخ الفن القديم في بلاد الرافدين، ص ٥٢.

(٥) أحمد أمين سليم، العصور الحجرية وما قبل الاسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، ص ١٥٤.

(٦) زهير صاحب، سلمان الخطاط، تاريخ الفن القديم في بلاد الرافدين، ص ٥٣.

(٧) عادل عبد الله الشيخ، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، ص ٨٨-٨٩.

(٨) أحمد أمين سليم، العصور الحجرية وما قبل الاسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، ص ١٤٠.

ورغم بساطة وأشكال هذه الدمى إلا أنها بلا شك تمثل أبداعاً كبير، وابتكاراً أصيل بالقياس مع تلك الحقبة التاريخية، يتجسد في تشكيل مادة الطين ولأول مرة في تاريخ النحت في العراق القديم بهيئة أشكال بشرية تختلف عن البشر الطبيعي لأنها تترجم أفكار ومعتقدات خاصة، وتمثل قوى عليا أذعن الإنسان لها وكرسها للعبادة.^(١)

فن الحلي والكماليات:

نتيجة لاستقرار الإنسان في هذا العصر، دفعه ذلك الأمر الى صناعة بعض الأدوات الكمالية المستخدمة في حياته، والتي تدل على اتجاهه نحو العناية بمظهره، فصنع العديد من أدوات الزينة كالخواتم والأساور التي استخدم فيها الرخام والمرمر، وحمل الكثير من الزينات المنقوشة، كما صنع بعض الخواتم والخرز من العظام.^(٢)

تلك المظاهر ظهرت في أبهى صورها في قرية جرمو، فأهلها استخدموا القلائد زوات الخرز المصنوع من الحجارة أو الطين أو الصدف أو المحار، فضلاً عن الأساور المعدة من أنواع جيدة من الأحجار كالمرمر والرخام.^(٣) ووجدن في موقع الاربجية في الدور المستديرة تلك الأشياء الصغيرة التي عثر عليها بكميات كبيرة، ونعني هنا بالطبع حلي حجر (الاستيتايت)^(٤) ذات الاشكال المتنوعة وأقراص الحجارة الصغيرة المثقوبة من الخلف والمنقوشة بالمستقيمات أو بالأشكال المتصالبة، ومحتمل أن هذه المواد قد ارتديت حول الرقبة.^(٥)

استنتاجات البحث:

١- أصبح الإنسان العراقي أكثر إدراكاً للاستقرار في العصر الحجري الحديث، قادته الى ذلك الظروف البيئية المختلفة التي أسهمت بدورها في تحويل حياته من جمع القوت الى زراعة ذلك القوت، ناهيك عن خبراته المتراكمة لتطوير اسلوب حياته.

(١) زهير صاحب، سلمان الخطاط، تاريخ الفن القلم في بلاد الرافدين، ص ٥٣-٥٤.

(٢) أحمد أمين سليم، العصور الحجرية وما قبل الاسرات في مصر والشرق الأدنى القلم، ص ١٣٦.

(٣) تقي الدباغ، الثورة الزراعية والقرى الأولى، ص ١٢٣.

(٤) حجر الاستيتايت: (Steatite) هو حجر صابوني هش.

(٥) جورج رو، المصدر السابق، ص ٩٣.

- ٢- أدى ذلك الأمر الى ثورة زراعية شهدها العراق مع مطلع الالف التاسع ق. م كان عاملاً من عوامل النهضة الاقتصادية التي مرت بها بلاد ما بين النهرين، وقد ترتب على ذلك ظهور الزراعة وأولى القرى الزراعية التي أهتدى اليها الانسان في بداية حياته أمثال قرية جرمو وحسونه.
- ٣- شهدت تلك القرى تطوراً ملحوظاً في مجال العمارة والفخار والنحت وصناعة الحلي لأول مرة في تاريخ العراق القديم والتي شكلت الأساس الأهم لحضارة البلاد وفنونها.
- ٤- ورغم أن تلك الملامح كانت بدائية أول الأمر لكنها أخذت في التطور مع تقادم الزمن. فالفخار الذي عثر عليه في جرمو وحسونه سمج ومصنوع من طينة غير نقيه، لكنه أصبح فيما بعد ناعماً ومدلوكةً دلالةً جيداً لاسيما فخار سامراء وحلف.
- ٥- شكل الطين الأساس لتلك الحضارة، فكان المحور الرئيس في جميع حاجات الانسان العراقي ومقتنياته.
- ٦- وهكذا فان تلك المرحلة التاريخية تعد خطوة متقدمة نحو الامام في البناء الحضاري لحضارة وادي الرافدين، سجلت منعطفاً مهماً في تاريخ العراق القديم.

قائمة المصادر:

أولاً:- المصادر العربية

- ١- أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر، العراق، ايران، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٩.
- ٢- _____، العصور الحجرية وما قبل الاسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، (د.م)، دار المعرفة الجامعية، (د.ت).
- ٣- أكرم محمد عبد كسار، عصر حلف في العراق، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٢.
- ٤- تقى الدباغ، الثورة الزراعية والقرى الأولى، في: نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، بغداد، (د.مط)، ١٩٨٥، ج ١.

- ٥- —، الفخار في عصور ما قبل التاريخ، نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، بغداد، (د.مط)، ١٩٨٥، ج ٣.
- ٦- —، الوطن العربي في العصور الحجرية، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨.
- ٧- جورج رو، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان حسين، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٤.
- ٨- دورام. بيلينكتون، فن الفخار صناعة وعلماً، ترجمة: عدنان خالد واحمد شوكت، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٤.
- ٩- رشيد الناطوري، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال افريقيا، (د.مط)، ١٩٧٧.
- ١٠- زهير صاحب، سلمان الخطاط، تاريخ الفن القديم في بلاد الرافدين، بغداد، مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٧.
- ١١- —، حميد نفل، تاريخ الفن في بلاد الرافدين، بغداد، دار الأصدقاء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٠.
- ١٢- —، فخار سامراء، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨١.
- ١٣- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بيروت، شركة زدار الورق للنشر، ط ٢، ٢٠١٢، ج ١.
- ١٤- عادل عبد الله الشيخ، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥.
- ١٥- —، عمارة العراق في العصرين الحديث والحجري المعدني حتى نهاية طور العبيد، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٥.
- ١٦- عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ٢٠١٢، ج ١.
- ١٧- عبد القادر عبد الجبار الشихلي، الوجيز في تاريخ العراق القديم، بيروت، دار الرافدين، ط ٢، ٢٠١٤.
- ١٨- كريم عزيز حسن الدليمي، الزراعة في العراق القديم منذ فجر السلاطات حتى نهاية العصر البابلي القديم ٣٠٠٠-١٥٩٥ ق.م، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٦.
- ١٩- محمود أمهز، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، (د.م)، (د.مط)، ٢٠١٠.

- ٢٠- محمد صبري، عمارة البيوت الدائرية في مطلع العصر الحجري الحديث في الشرق الأدنى، بغداد شركة دار المعمورة للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
- ٢١- محمد ابو محاسن عصفور، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، بيروت، دار النهضة للطباعة والنشر، ١٩٨٧
- ٢٢- موفق جرجيس سليمان، عمارة البيت العراقي القديم في عصور مقابل التاريخ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٦.
- ٢٣- وليد الجادر، العمارة حتى فجر السلالات، في: نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، بغداد، (د.مط)، ١٩٨٥، ج ٣.

ثانياً: المصادر الأجنبية

- 1- Braidwood, R.J. Howe, B. Prehistoric Investigations in Iraq Kurdistan, Chicago, Press, Chicago, 1690.
- 2- Kirkbride , B. Umm Dabaghiyah , 1971, Apreliminary Report , Iraq , Vol. 34, No.1, 1972.
- 3- Lloyd , S. and Safar. F., Tell Hassuna, Excavations by the Iraq Government Directorate General of Antiquities in 1943 and 1944 ,. J.N.E.S, 1945, Vol.4, No. 4, 1945.